المنابر فى الاسلام (*)
وسبب اتخاذها فى الجوامع

للعالم الأثرى الأستاذ يوسف أحمد
مفتش الآثار العربية

— ١ —

للآثار العربية شان لا ينكر ، وأثر فى مختلف الثقافات من دينية وعلمية وفنية لا يجحد ، ولذا يتطلب بحثها دقة فى الفن ، وسعة فى الاطلاع ، مما لا يتوفر للكثيرين ، والاستاذ يوسف أحمد علم من أعلام الآثار المبرزين ، وممن لهم قدم ثابتة فى هذا الفن ، مما جعل الحكومات الاجنبية مثل فرنسا وايطاليا تقدر له جهوده فى هذه السبيل فأهدته بعض نياشينها ، وقد تفضل بهذا البحث الذى يراه القراء بعد فكـ المحرر

(١) كان النبى صلى الله عليه وسلم يخطب الى جذع نخلة بالمسجد ، وكان هـذا الجذع عموداً من عمد المسجد ، إذ كانت عمده من خشب النخيل كسقفه ، وكان إذا خطب فأطال القيام وشق عليه قيامه ، استند فاتكأ عليه .

فبصر به مرة رجل كان ورد المدينة ، وقد رأى منابر الكنائس بالشام ، فقال لمن يليه من الناس : « لو أعلم أن محمدا يحمدنى فى شيء يرفق به لصنعت له مجلسا يقوم عليه ، فان شاء جلس ما شاء ، وإن شاء قام »

(*) سمى منبراً لارتفاعه وعلوه ، ويقال انتبر الامير أي ارتفع فوق المنبر ، وكل مرتفع منتبر ، وعلى ذلك فلا يسمى المنبر الذى صنع للنبى منبرا إلا تساهلا ، لأنه قليل الارتفاع .

فبلغ ذلك النبي فقال : ايتوني به ، فأمره فصنع له منبراً ذا ثلاث درجات . فوجد النبي في ذلك راحة . وكان ذلك في سنة سبع كما جزم به ابن سعد أو سنة ثمان كما جزم به ابن النجار .

وقد اختلف في اسم هذا الرجل فقيل: تميم الداري وقيل : باقوم الرومي الذي بنى الكعبة لقريش وقيل : ميمون الخ .

(٢) كان ارتفاع هذا المنبر ذراعين وثلاثة أصابع ، وعرضه ذراعا راجحا ، وارتفاع رمانتيه اللتين كان يمسكهما بيديه الكريمتين إذا جلس شبرا وأصبعين. وفيه خمسة أعواد من جوانبه الثلاثة ، وله ثلاث درجات ، وكان من خشب طرفاء الغابة ، وقيل من الأثل وهو الأصح من أقوال عشرة .

(٣) وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يقعد على عياهن ويضع رجليه الكريمتين في وسطاهن .

فلما ولي أبو بكر الصديق رضي الله عنه قعد على وسطاهن تأدبا وجعل رجليه على أولاهن.

فلما ولي عمر رضي الله عنه جلس على أولاهن وجعل رجليه على الارض .

وفعل ذلك عثمان رضي الله عنه صدرا من خلافته قدره ست سنوات . ثم ترقى الى الثالثة ، فانتقده بعض الصحابة ، واستحسن ذلك بعض الحاضرين وقال مامعناه : رحم الله أمير المؤمنين : لو لم يفعل ذلك لأتى على المسلمين زمن يخطب فيهم الأمير في بئر ...

(٤) وقال سهل بن سعد الساعدي : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، صلى عليها (أي على الدرجة الثالثة من المنبر) وكبر وهو عليها ، ثم ركع وهو عليها ، ثم نزل القهقرى فسجد في أصل المنبر ، ثم عاد ، فلما فرغ أقبل على الناس فقال : أيها الناس — إنما صنعت هذا لتأتموا بي ولتعلموا صلاتي .

(٥) بقي هذا المنبر الى أيام معاوية ، فأراد نقله الى الشام ، فضج المسلمون . فلما رأي ذلك كتب الى « مروان » عامله على المدينة المنورة : أن ارفعه عن الارض . (صيانة له)

فزاد من أسفله ست درجات و رفعه عليها ، فصار له تسع درجات بالمجلس . وصار طوله أربعة أذرع وشبرا .

(٦) ولما حج المهدي بن المنصور العباسي سنة ١٦١ أراد أن يعيده الى ما كان عليه ، فأشار عليه الامام مالك بتركه خشية التهافت (التآكل) فتركه .

ويقال إن المنبر الذي صنعه معاوية ، تهافت على طول الزمان . وجدده بعض خلفاء بني العباس واتخذ من بقايا أعواد منبر النبي أمشاطا للتبرك .

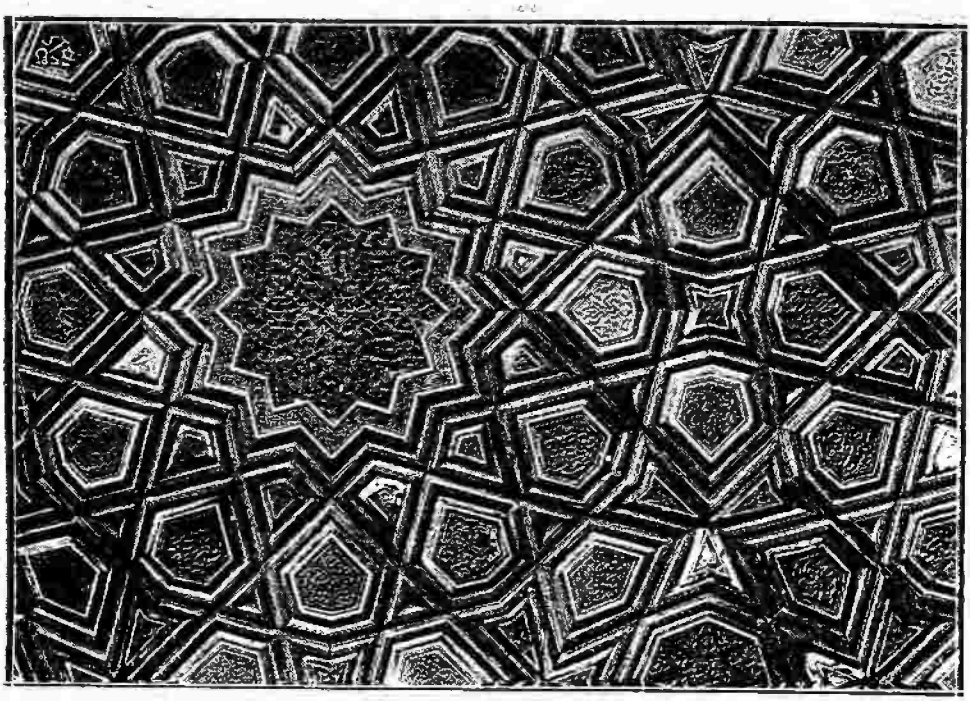

(صورة رقم (١) : تفاصيل من منبر مسجد الصالح طلائع)

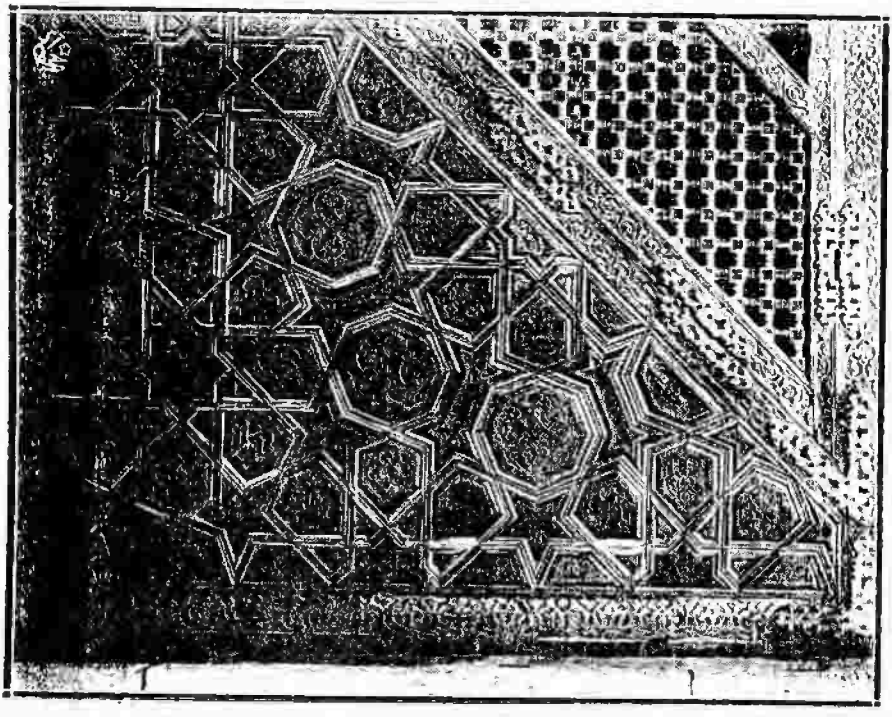

(صورة رقم (٢) : تفاصيل من منبر مسجد ابن طولون)

ثم احترق هذا المنبر لما احترق المسجد فى شهر رمضان سنة ٦٥٤ أيام المستعصم بالله . وشغل المستعصم عن عمارته بقتال التتار ، فعمل المظفر صاحب اليمن منبراً وبعث به الى المدينة سنة ٦٥٦ فنصب فى موضع منبر النبى . فبقى الى سنة ٦٦٦ فأرسل الظاهر بيبرس البندقدارى ملك مصر منبرا ، فأزيل ذلك ووضع هذا محله ، وطوله أربعة أذرع ، وعلوه سبعة وكسر ، ودرجاته سبع بالمقعد .

(٧) وفى العقد الفريد لابن عبد ربه : إن منبر المسجد النبوى سبع درجات ، وسمر فى أعلاها لوح لئلا يجلس أحد على الدرجة التي كان يجلس عليها النبى ، وهو مختصر ليس فيه من النقوش ودقة العمل ما فى منابر زمننا الآن .

(٨) وكان بمكة منبر آخر أوجده معاوية بن أبى سفيان ، حين قدم من الشام وصنعه على مثال منبر النبى صلى الله عليه وسلم بالمدينة .

وقد كان النبى والخلفاء الاربعة وولاتهم يخطبون يوم الجمعة على أرجلهم قياما فى وجه الكعبة وفى الحجر الشريف .

* * *

ولنتكلم الآن على منبر أول جامع بنى بمصر فى العصر الاسلامى وهو جامع عمرو بن العاص بمدينة الفسطاط .

(٩) لما بنى عمرو جامعه اتخذ له منبرا من خشب ، فكتب اليه عمر بن الخطاب يقول : « أما بعد ، فانه بلغنى أنك اتخذت منبرا ترقى به على رقاب المسلمين — أما حسبت أن تقوم قائما والمسلمون تحت عتبيك ؟ فعزمت عليك إلا ما كسرته . » فكسره . وقد كان هذا المنبر ثانى المنابر فى التاريخ الاسلامى .

بعد ذلك وجد منبر خشب في الجامع . قيل إن عمرا جعله فيه بعد وفاة عمر .

ويؤيد هذا ماورد عن بجير بن زاخر قال : رحت أنا ووالدى الي صلاة الجمعة تهجيرا فأطلنا الركوع ، إذ أقبل رجال بأيديهم السياط يزجرون الناس ، فذعرت . فقلت : يا ابتى من هؤلاء ؟ فقال : يابني : هؤلاء الشرط . فأقام المؤذنون الصلاة فقام عمرو على المنبر ، فرأيت رجلا ربعة قصير القامة — الخ — راجع المقريزى صفحة ٢٦٠ ج ٢ .

وقيل هو منبر عبد العزيز بن مروان ، الذى ولى على مصر سنة ٦٥ ومات سنة ٨٦ ، وذكر أنه حمل اليه من بعض كنائس مصر .

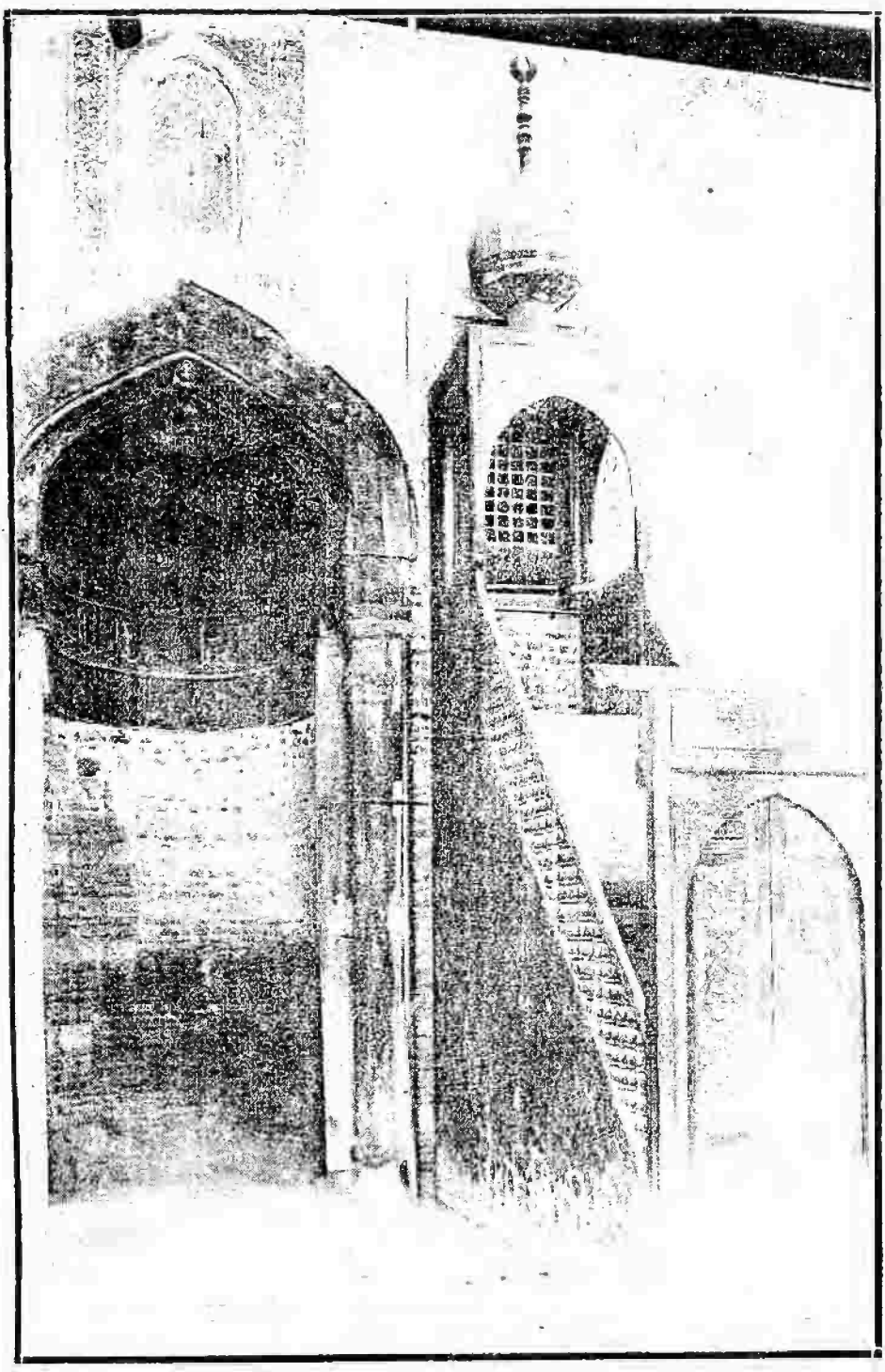

(صورة رقم (٣) : منبر مسجد الصالح طلائع)

وقيل إن زكريا ملك النوبة أهداه الى عبد الله بن سعد بن أبي سرح ، الذي ولي على مصر سنة ٢٤ ، وبعث معه نجاره المسمى بقطر من أهل دندره فركبه .

ولم يزل هذا المنبر في الجامع حتى زاد فيه فرة بن شريك في سنة ٩٤ ، فعمل منبرا سواه. واستمر هذا المنبر حتي قلع وكسر في أيام العزيز بالله الفاطمي سنة ٣٧٩ ، وجعل مكانه منبر مذهب .

ثم أخرج هذا المنبر الى الاسكندرية وجعل بجامع عمرو فيها ، واستعيض عنه في جامع مصر بالمنبر الكبير في سنة ٤٠٥ أيام الحاكم بأمر الله الفاطمي . وفي هذه السنة وجد هذا المنبر الجديد ملطخاً بالعذرة ، فوكل به من يحفظه ، وعمل له غشاء من أدم مذهب .

أما المنبر الحالي الموجود الآن بالجامع فحديث الصناعة ، وربما كان من زمن الأمير مراد بك الذي جدد الجامع سنة ١٢٢١

(١٠) أما في قرى مصر فلم يكن يخطب فيها إلا على العصى بجانب القبلة ، إلى أن ولي عبد الملك بن موسى بن نصير اللخمي من قبل مروان بن محمد الأموي ، فأمر باتخاذ المنابر في الارياف سنة ١٣٢ هـ

(١١) واستمرت المنابر في القرى والامصار بحجم أكبر مما كانت عليه زمن النبي صلى الله عليه وسلم، حتى أمر المهدي محمد بن أبي جعفر المنصور بتصغيرها وجعلها بقدر منبر النبي ،وذلك في سنة ١٦١ ثم رجعت بعد ذلك الى الكبر..

(١٢) والمنابر الكبيرة بدعة من جملة ما أحدث في المساجد، تأخذ حيزا كبيرا في المسجد وتقطع الصفوف ، والمسجد وقف على المصلين .

قال الامام أبو طالب المكي في كتابه : إن تقدمة الصفوف إلى فناء المنبر بدعة. وكان الامام الثوري يقول : إن الصف الاول هو الخارج بين يدي المنبر . وقال ابن الحاج في مدخله : « وأما بلاد المغرب فقد سلموا من تقطيع الصفوف ، لكن بقيت عندهم بدعتان : إحداهما كبر المنبر على ما هو بمصر . والثانية أنهم ينقلون المنبر إلى بيت إذا فرغ الخطيب من الخطبة . »

ولا بد أن تكون للمنابر إذ ذاك عجلات حتى يسهل نقلها عقب الخطبة .

ومنبر السنة كان ثلاث درجات ، وهي لا تشغل مواضع المصلين فان قال قائل : بل تشغل ولو موضعا واحدا . قلنا إن هذا مستثنى بفعل النبي صلى الله عليه وسلم .

وإن قيل : ربما كثر الناس واتسع الجامع، فاذا صعد الخطيب على المنبر ذي الثلاث درجات

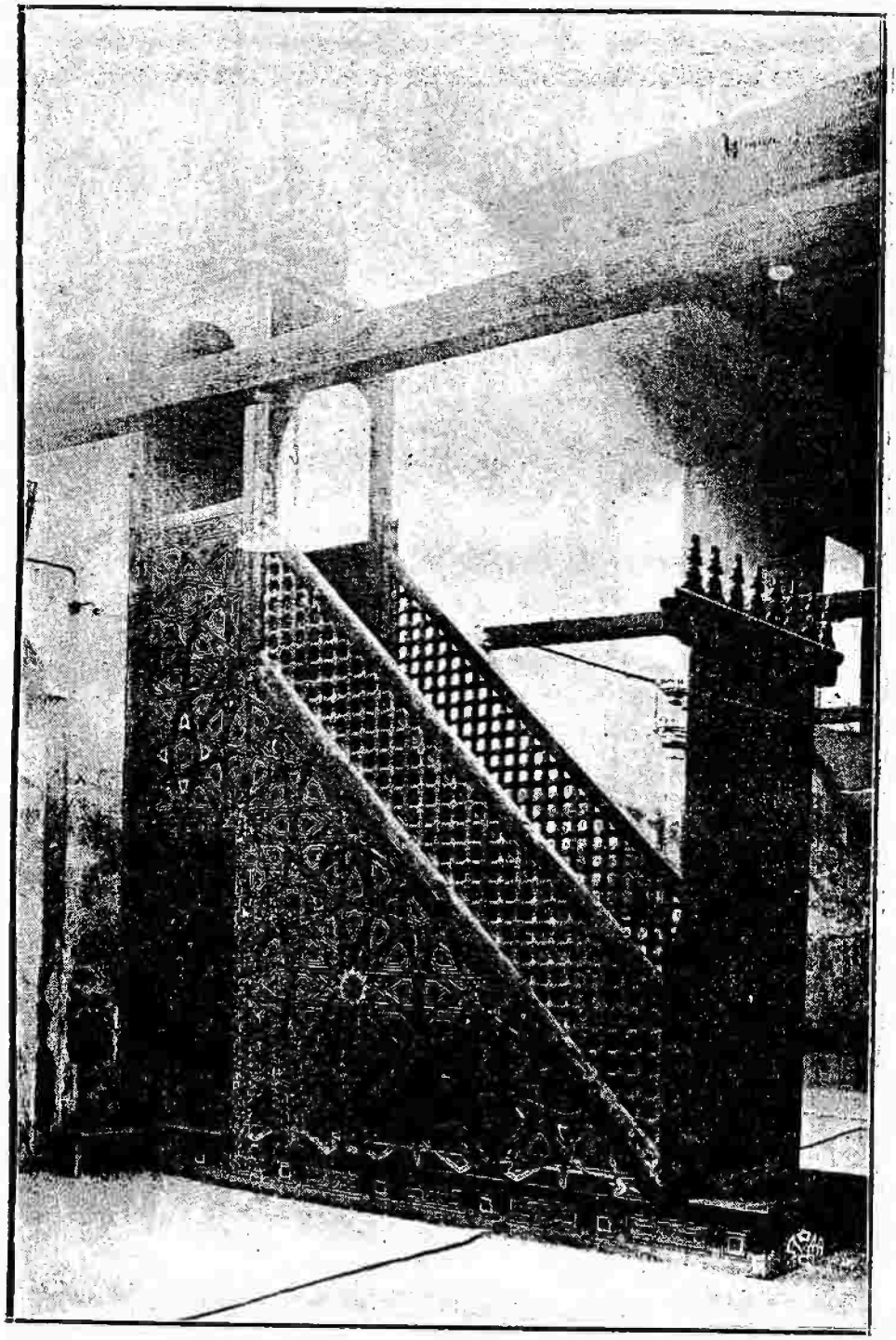

(صورة رقم (٤) : منبر مسجد أرغون شاه الاسماعيلي)

قل أن يسمع الخطبة الجميع أو أكثرهم . قلنا : إن من كان على منبر عال هو الذى لا يسمعهم لكونه بعيدا عن مستواهم ، فكأنه فى سطح وحده ، لا يسمع من تحته ، وهذا مشاهد .

ومن الحقائق الثابتة فى عم الصوت أنه كلما بعد الانسان عن مصدر صوت كلما قلت شدة ذلك الصوت وقل سماعه . على أن هذه الشدة تتوقف على عوامل أخرى كالرياح والرنين والصدى ولكننا نترك الكلام على هذه العوامل ، ونعتبر فقط بعد السامع عن مصدر الصوت ، فاذا اخترنا مصليا فى نقطة ما من فناء الجامع تبعد عن خطيب مرتق منبرا ذا ثلاث درجات بقدر عشرين مترا ، فان مسافة هذه النقطة تكبر ، كلما علا الخطيب على الدرج . وعلى ذلك تقل شدة الصوت فى تلك النقطة من الجامع ، فيقل سماع المصلى لكلمات الخطيب .

ومع ذلك فلا بأس من أن يرتقى الخطيب منبراً قصيراً درجاته أكثر من ثلاث ليراه المصلون جميعاً ، فتتبين لهم حركاته وسكناته بوضوح أثناء الخطبة . فالارتفاع القليل لا يؤثر كثيراً فى شدة الصوت .

(١٣) وقد كانت المنابر فى القرون الاولى الاسلامية يجعل تحت درجها قنطرة يصلى فيها المصلون حتى لا ينقطع الصف . قال البشارى فى كتابه «أحسن التقاسيم» الذى فرغ من تأليفه قبل سنة ٣٧٥ هجرية أثناء التكلم على بلدة زبيد ، قصبة تهامة :

« إن الجامع ناء عن الاسواق ، نظيف مبرق الارض تحت المنبر تقوير ليتصل الصف»

ثم عملت المنابر فى العصر الفاطمى وما بعده سداً بدون نافذتين فى الجانبين ، كما يشاهد فى منبر الجامع العمرى بقوص ، وهو الذى أنشأه الملك الصالح طلائع ، وزير الخليفة الفائز عيسى الفاطمى سنة ٥٥٠ الهجرية — انظر صورة جزء منه رقم (١) ص ٦٥٩

وفى منبر الجامع الطولونى الذى أنشأه السلطان حسام الدين لاجين المنصورى سنة ٦٩٦ كما يتضح من الصورة رقم (٢) ص ٦٥٩

وفى منبر مسجد الصالح طلائع ، الكائن تجاه باب زويلة بالقاهرة ، الذى أنشأه الأمير بكتمر الجوكندار سنة ٦٩٩ — كما يتضح من الصورة رقم (٣) ص ٦٦١

وفى منبر مسجد أرغون شاه الاسماعيلى المنشأ سنة ٧٤٨ ، فان تصميمه عمل فى الأصل بدون بابين ، ثم رؤى أثناء العمل أو بعده بقليل ضرورة وجود البابين ، ففتحا فيه كما يرى فى الشكل رقم (٤) ص ٦٦٣ ، وهو من أشغال النجارة الدقيقة .

وفى منبر جامع المارداني الذى أنشىء سنة ٧٤٠ كما يظهر فى الصورة رقم (٥) ص ٦٦٥

(البقية على صفحة ٦٦٨)

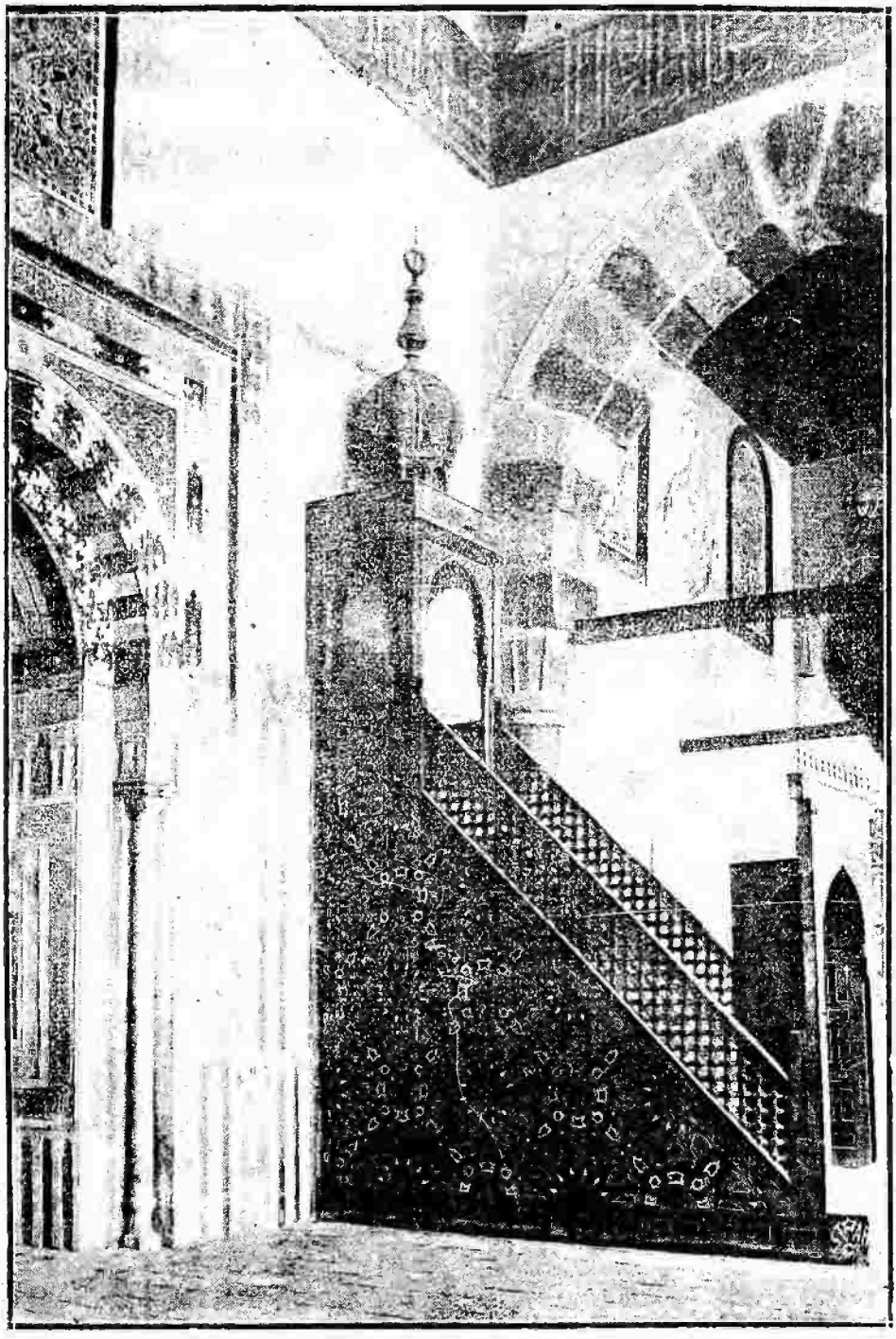

(صورة رقم (٥) : منبر مسجد المارداني)